

1

قصص الصحابة

الفلام
الذي اختار الجنة

سلوى العناني

مقدمة

نحنُ اليوم مع مجموعةٍ من الأطهارِ التي اِلْتَفَتْ حولِ أطهرِ
خَلَقِ الله ..

إنهم قومٌ باعوا الحيةَ ، واشتروا رضوانَ الله ، ورسوله ..
قومٌ تركوا متاعَ الدنيا خلفهم ، وِثَمُوا شَطَرَ الرسالةِ
العُظمى .. فقدموا حياتهم ، وأموالهم ثَمَنًا لعقيلةٍ فيها
خلاصُ الإنسانية .

هؤلاء هم صحابةُ رسولِ الله الذين عاشوا معه .. رأوه ،
وأسلموا بين يديه .. وأعلنوا إيمانهم بالله الواحدِ الأحدِ ،
وبمحمدٍ رسولاً ، وصدقوا بكل ما جاء به ..

لقد هداهم عقلُهم ، وبصيرتُهم إلى الطريقِ القويمِ ،
واقتنعوا بأنهم كانوا في ضلالٍ .. وآمنوا بأنَّ ما جاء به محمدٌ
إنما هو الحقُّ .

كانوا يعرفون محمدًا .. رجالاً فقيراً أمياً يتيماً .. ملأت
سيرته العطرةَ أسماعَ قريشٍ ، وأبصارها فسموه (الأمين) ..
لا يذكر له أحدٌ كذباً أو خيانةً أو شحاً .. كلُّ ما يعرفونه
عنه كان الصديقَ ، والكرمَ ، والعِفَّةَ ، وحُسْنَ الحديثِ وخَيْرَ
الجوارِ .. فلماذا لا يصدقونه ، وهو الصديق؟! .. ولماذا لا

يتبعونه وهو الأمين؟! .

لماذا لا يسمعونه ، وهو الذي لم يعرف غير الحق ؟!

آمنوا به .. واتبعوه وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ..

لا شك أنها حيرة ما بعدها حيرة..

فأنت وسط البستان المزهّر .. والشجر المثمر .. والنجوم

المتلألئة .. فأيتها تختار؟ ومع أيها تقف؟ .. وعن أيها

تتحدث؟

كوكبة من الأطهار .. ومجموعة من الأبرار .. وأمة من

الأخيار.. فأيتها أختار؟!

تمنيت لو استطعت أن أقدمهم جميعا لأصدقائي ، وأن

أعرف أبنائي بهذه الصُحبة الطيبة المباركة .. لكن أي كتاب

يكفيني؟ وأي أوراق تسع كلماتي؟

كان لابد من الاختيار .. واخترت .

ليس لأن هؤلاء هم خيرة الصحابة .. ولا أكرمهم ، ولا

أشجعهم ، ولا أقواهم إيمانا .. لا .. لكن لأنني مقبلة بعدد

هذه الصفحات ؛ فوقفت مع البعض أقدمهم لك يا

صديقي نموذجاً للإيمان ، والصدق .. والصفاء ، والنقاء .

سلوى

الغلام الذي اختار الجنة

(زيد بن حارثة)

[ما أنا بالذي يختارُ عليك أحداً ، أنت الأبُ ، والمعلمُ]

زيد بن حارثة

كانت عادةُ (التبني) من العادات المنتشرة بين العرب في الجاهلية .

وهذا يعني أن الشخصَ يَنْسَبُ إليه ولدا من غير أبائِه فيعطيه اسمَه ، كما يعطيه الحقُّ في أن يرثه ..

وكان هذا لا شكَّ تعبيراً عن اعتزازِ هذا الشَّخصِ بِمَنْ تبناه ، وضمَّه إلى أسرته دون وجود رابطة دم بينهما .

كان لابد من هذه المقدمة قبل أن نتعرفَ على واحدٍ من أحبِّ صحابةِ رسولِ الله إلى قلبه .. حتَّى أنهم أطلقوا عليه اسم (حِبُّ رسولِ الله) .. وهو (زيدُ بنُ حارثة) الذي لازمَ الرسولَ منذ كان صبياً صغيراً .. فمن هو زيد بن حارثة ؟

كان زيدُ ابناً سعيداً يعيش في كنفِ أبوين يحبانه ويرعيانه

إلى أن تعرضت ذيارهم لغارة إحدى القبائل المعادية التي
انتزعت الصغير من حضن والديه ، وأسرتَه ضِمْن مَنْ
أسرت من الغلمان ، ثم باعتهم رقيقا في سوق العبيد .

ويشاء الحظُّ أن يقع اختيارُ "حكيم بن خزام" على هذا
الغلامِ القصيرِ الأسيرِ ذي الأنفِ الأفتس فيشتريه ، ثم
يهبه لعمته "خليجة بنت خويلد" ..

وينفتح قلبُ المرأةِ العظيمةِ لهذا الغلامِ الذي تشعُّ عينه
ذكاءً ، وفطنةً ، وتخصُّه برعاية ، وحُبٍّ خاص ، ثم يتضح لها
مع الأيام قَدْرُ أمانته ، وإخلاصه فتهبه بدورها لزوجها
(الأمين) (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب) .. وما إن يرى
محمدُ هذا الغلامِ إلا ويشعرُ نحوه بالحب والتقدير ، فيعتقه
فورا .

ويعيشُ (زيد) في كَنَفِ (محمد) وتظهر الأيامُ نقاءَ
معدنه ، وذكاءه ، وإخلاصه ، وصدقهِ ، وأمانته ، ويزداد
(محمد) تعلقا به ، ويضاعف رعايته له ، وعطفه عليه ..

ويلتقى بعضُ من أهلِ (زيد) به في أحدِ مواسمِ الحج ،
ويعرفون أنه ابن (حارثة) الذي فقدَه أبواه منذ سنوات ..

فوصفوا له كيف يتعذبُ والده لفراقه .. فَحَمَّلَهُمْ (زيد)
سلامه ، وشوقه لوالديه ، وكل عشيرته ، كما حملهم رسالة
خاصة لوالده يقول فيها : (أخبروا أبى أنى هنا مع أكرم
والد) ..

ويطير قلبُ الوالد (حارثة) فرحا بهذه الأخبار التى
وصلته عن ابنه (زيد) ويشد الرحال ومعه شقيقه إلى مكة
ويلتقيان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال له
(حارثة) :

- يا بن عبد المطلب .. يا بن هاشم .. يا بن سيد قومه ،
أنتم أهلُ حَرَمِ الله وجيرانه ، تفكرون العانى ، وتطعمون
الأسير ، حيثنالك وابننا عندك فامُنُّ علينا ، وأحسن إلينا فى
فدائه .

سأَل النبي عليه السلام : ومن هو ؟

قال (حارثة) : هو (زيد بن حارثة) .

فرد عليه السلام : فهلا غير ذلك ؟

قال حارثة : وما هو ؟

قال النبي : "أدعوه فأنخِيره .. فإن اختاركم فهو لكم ..

وإن اختارني ، فو الله ما أنا بالذي أختار على من اختارني
أحدًا " .

واهتزت مشاعر (حارثة) وشقيقه لمقالة رسول الله
وشكرا له كرمه وحُسنَ خُلُقِهِ .. وأرسل النبيُّ في طَلَبِ
(زيد) وقال له :

- هل تعرف هؤلاء ؟

قال : نعم .. هذا أبي وهذا عمي ..

قال له النبي : فإنا مَنْ قد علمت ورأيت صُحْبَتِي لك ،
فلخترني أو اخترهما .

قال زيد : ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا .. أنت مني
مكان الأب والعم .

وثار الأب والعم وقالوا لزيد : ويحك ألتختر العبودية على
الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ؟!

قال زيد : نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئا .

ثم اتجه بالحديث إلى النبي - عليه السلام - قائلا :

(ما أنا بالذي يَخْتار عليك أحدًا . أنت الأب والمعلم) .

يا لها من نجابة ، وذكاء ، وقوة شخصية .. فيها هو الصبيُّ
يعثرُ على والديه بعد طول فراق .. لكنه يختار عليهم
الرجلَ الذي أحبه ، ولم يجدْ منه إلا كريمَ الصُّحبة وحُسنَ
المعاملة ..

هنا توجه محمدٌ إلى ساحة الكعبة مُمسِكًا بيد (زيد) مُعلنًا
للجميع أن " اشهدوا أن (زيدًا) ابني يرثني وأرثه " .
ومن ساعتها أصبح (لزيد بن حارثة) اسمًا جديدًا هو
(زيد بن محمد) .. وكان (زيد) جدُّ سعيدٍ بهذا الأب الذي
أحبه وفضَّلَ صُحبته على العودة إلى قبيلته ، وأسرته ،
ووالديه .

وتزيد الأيامُ (زيدًا) حبًّا (محمدٍ) كما تزيدُ (محمدًا)
رعاية ، وعطفًا على (زيدٍ) الذي كان يرى في خِصَل
(محمد) ، وفي أخلاقه نموذجًا نلرَّ أن يوجد بين البشر . فهو
أمينٌ كريمُ العشرة ، ثابتُ العزيمة ، قوى الإرادة ، شديدُ
البأس ، كاملُ الوفاء ، صادقُ المودة ، يصل الرِّجَم ، ويحسنُ
معاملة كلِّ مَنْ حوله .. كما كان يراقبه ، وهو يعتكف
للتعبُّد في غارٍ جِراء يقضى الأيامَ صائمًا مكتفيا بالقليل
من الزاد ، متأملًا باحثًا عن الحقيقة ..

ويأتى (محمد) بالبشارة .. بالدعوة إلى الحق .. إلى الإسلام،
وتكون (خديجة) الزوجة الوفية الرحيمة هى أول من
يصلق (محمدًا) من النساء وتعلن إسلامها ويكون (على
ابن أبى طالب) ابن عم النبى عليه الصلاة والسلام،
والذى كان يعيش فى كنف (محمد) هو أول صبي يؤمن
بابن عمه (محمد الأمين) ويعلن إسلامه .. وكذلك (زيد)
فقد رأى أن محمدًا ، وزوجته (خديجة) ، وابن عمه (على)
يؤدون صلاة خاصة ، ويرتلون كلاما له طعم خاص ، سأل
عن ذلك فأبلغه (محمد) أن الوحي قد جاءه ، وأمره أن يبشّر
بدين جديد هو الإسلام ، وأن (جبريل) يأتيه بين الحين
والحين بآيات مُحكمات - هن أم الكتاب - وهذا هو
القرآن ..

ولم يكن هناك مجال للتردد ، أو المناقشة .. (زيد) يعرف
عن (محمد) كل الخصال الطيبة العظيمة ، ولا يمكن أن
يكون ما يقوله اليوم غير الصديق .. كل الصلّاق .. إذن فهو
الإيمان .. هو الإسلام .. هى الشهادة .. ونطق (زيد)
بالشهادة ..

أشهد أن لا إله إلا الله .. وأن محمدًا رسول الله ..

ويكون (زيد) هو ثالث من آمنَ بمحمد واعتنق الإسلام
دينا ..

ويزداد (زيد) (بمحمد) ارتباطا ..

ويزداد (محمد) (لزيد) حُبًا ..

ولم لا .. وهذه الأيام تُظهر في كل فرصة فضيلةً جديدةً
من فضائل هذا الفتى الذى قرَّبه الرسول من قلبه ، ومن
مجلسه .. ورفع عنه كابوس العبودية واختلاف اللون ،
وغياب الوسامة ، والوجاهة؟!

إنه نبي الإسلام الذى أتى بالمساواة ، والأخوة بين كل
البشر، فلا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على
أسود إلا بالتقوى.. وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ..

وإلى (يثرب) يهاجر (زيد) مع من هاجر من المسلمين ،
ثم يشارك فى كل الغزوات ، والحملات العسكرية
للمسلمين .

وبأمر من القرآن الكريم يعود إلى (زيد) نَسَبُهُ
الحقيقى :

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ

يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ
عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ
(وَمَوَالِيكُمْ) [الأحزاب : 4-5]

هكذا يحفظ القرآن للناس أنسابهم .. ويظل (زيد بن
حارثة) حِبًّا رسول الله) وأقرب الناس إلى قلبه حتى قالت
السيدة عائشة رضى الله عنها : (ما بعث رسول الله زيد بن
حارثة في الجيش قط إلا أمره عليهم .. ولو بقى حيا بعد
رسول الله لاستخلفه) .

كان العربُ ينظرون إلى (الموالى) - وهم الرقيق المحرر -
فى درجة أدنى من السادة الأحرار .. فهم لا ينسون ماضيهم
ولا يغفرون لهم وضعاً ليس لهم فيه يد .. لهذا لم يكن من
حق هؤلاء الموالى التقدم لبناتِ الأسر الكريمة طلباً للزواج
منهن ..

لكن الإسلام أتى بالفكر الجديد وبالمبادئ الحرة وبأن
الناس سواسية كأسنان المشط وبأن أكرمكم عند الله
أتقاكم ..

وأراد النبىُّ أن يحقق هذه المساواة بشكل عملى فزَوَّجَ

(زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ) مِنْ إِحْدَى شَرِيفَاتِ بَنِي هَاشِمٍ وَهِيَ
(زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ).

وَهَكَذَا ضَرَبَ النَّبِيُّ الْمَثَلَ وَكَانَ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ .

وَتَزَوَّجَ (زَيْدٌ) مِنْ (زَيْنَبٍ) .. لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ زَوْاجًا مُوَفَّقًا ..
وَتَمَّ الطَّلَاقُ بَيْنَهُمَا ..

وَلَمَّا مَرَّتْ بِزَيْنَبَ (شَهْوَرُ الْعِلَّةِ) طَلَبَهَا النَّبِيُّ لِلزَّوْاجِ ..
وَكَانَ هَذَا مُخَالِفًا لِمَا اعْتَادَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ تَحْرِيمِ زَوَاجِ
مُطَلِّقَاتِ الْأَدْعِيَاءِ .. لَكِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِالْوَحْيِ لِيُبَيِّنَ
لِلْمُسْلِمِ الزَّوْاجَ عَنْ كُنْ أَزْوَاجًا لِأَدْعِيائِهِمْ ..

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الْأَحْزَابُ : 37] .

هَذَا هُوَ الْعَامُ الثَّامِنُ لِلْهَجْرَةِ .. وَهَذَا هُوَ شَهْرُ جُمَادَى
الْأُولَى .. وَهِيَ هِيَ الرِّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو إِلَيْهِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ
مِنْ خَيْرَةِ رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ (زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ) .

وَوَدَّعَ النَّاسُ أَمْرَاءَ الْجَيْشِ، وَجَنُودَهُ ، وَسَارَ النَّبِيُّ مَعَهُمْ
حَتَّى ابْتَعَدُوا عَنْ حُدُودِ الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ أَوْصَاهُمْ بِقِيَادَةِ الْجَيْشِ

بعد (زيد) (جعفر بن أبى طالب) ، وبعده (لعبد الله بن رواحة) .

نعم .. كان (زيد بن حارثة) هو القائد .. هذا الرجل الأسمر اللون ، القصير القامة ، غير الوسيم ، الذى كان يوما ما عبدا ومن الرقيق .. يتولى قيادة الجيش قَبْلَ (جعفر ابن أبى طالب) ابن عم رسول الله .. هذا الفارسُ الحسيبُ ، النسيبُ ، الوسيمُ ، التقىُّ ، النقىُّ ، الذى كان أقرب خلق الله إلى رسول الله فى الخُلُق ، والخَلْقة .. لكنه الدين الجديد .. الإسلام .. الدين الذى لا يعرف محابة ، ولا مجاملة .

الدين الذى أراد نبيه فى كل يوم أن يثبت مبادئه الجديدة الحَقَّة ..

وكان من بين جنود هذه الحملة (خالد بن الوليد) فارسُ العرب ، سيفُ الله المسلول كما سَمَّاهُ النبى الكريم .. وكان حديث عهدٍ بالإسلام .. وأراد بهذه المشاركة أن يثبت حُسْنَ ولائه للإسلام ..

كانت هذه الحملة تتجه إلى حدود بلاد الشام مع بلاد

العرب التي كانت واقعة تحت حُكم الروم .

وكان الروم قد أحسوا بخطر الدعوة الجديدة الآتية من بلاد العرب، وبدءوا يناوشون المسلمين ، ويستعرضون قوتهم ، فكان لابد أن يرُدَّ المسلمون على هذا الموقف .. ورغم الفارق الكبير فى العدد ، والعلة .. إلا أن المسلمين كانوا يشعرون وكأن كل محارب فى جيشهم يساوى مئة فى الجيش المقابل ؛ بما يملأ قلوبهم من الإيمان ، والعزيمة ، والرغبة فى الدفاع عن دينهم الحق ..

وسار جيشُ المسلمين فى ثلاثة آلاف ليقابل ثلاثمائة ألف من المقاتلين الروم فى (مؤتة) ..

وكانت معركة غير متكافئة .. لكن الإيمان من جانب المسلمين دفعهم إلى اقتحام خصومهم يطلبون النصر ، أو الشهادة ..

وسقط (زيد بن حارثة) فى اليوم الأول شهيدا بعد أن أبلى بلاء حسنا ..

ويرفع الراية (جعفر بن أبى طالب) من بعده ليلحق به فى عالم الشهادة .. ثم يتبعهما (عبد الله بن رواحة) .

كرام ثلاثة .. قدموا حياتهم فى سبيل نصرة دينهم ..

وتولى (خالد بن الوليد) قيادة الجيش من بعدهم ..
فاستخدم دهاءه العسكرى ، وأوهم الروم أن هناك مَدَدًا
كثيرا قد أتاه من المدينة ، فأدخل فى قلوبهم الرُّعْبَ ،
فتوقفوا عن القتال خَشْيَةَ مضاعفة خسائرهم التى أوقعها
بهم المسلمون فى اليوم الأول .

وأخذ (ابن الوليد) قرار العودة مُكتفيا بما فَقَدَ الجيشُ
من خَيْرِةِ صحابةِ الرسولِ الكرامِ مؤمناً بعدم تكافؤ جيشه
مع جيش الروم فى العدد ، والعدة ..

ويعلم النبىُّ الكريم بمصرع (زيد) ، و(جعفر) و(ابن
رواحه) .. ويُخبرُ أنهم فى الجنة جزاء لما بذلوه فى سبيل
نُصرة الحق ، وإعلاء راية الإسلام .

رَحِمَ الله (زيدًا) .. فقد كان نِعَمَ الصديق ، ونِعَمَ
الرفيق .. ونِعَمَ الصحابى المؤمن التقى .